ملامح الرومانسية في القصيدة " فكرة الفنان " لأبي القاسم الشابي

Yusuf AKYÜZ[*]

Ebu'l-Kasım eş-Şâbî'nin 'Fikretu'l-Fennan' Kasidesinde Romantizm

Özet ▸ Batıda başlayıp tek bir ülkeyi dahi hariç bırakmayarak tüm dünyayı kuşatarak etkileyen edebi tenkit, şu anda edebiyatın en göze çarpan belirtilerindendir. Modern Arap edebiyatı da bu hareketten nasibini almıştır. Edebi tenkit, içinde doğup geliştiği toplumun şartlarına göre çeşitli ekollere ve farklı yöntemlere ayrılmıştır. Her bir yöntemin kendini diğer yöntemlerden ayıran usulleri ve kuralları vardır. Zira her yöntem kendisinden önce hâkim olan yönteme tepki olarak çıkmıştır. Bu yöntemlerden romantizm yöntemi, 18. yy'da Fransa'da Klasisizm yöntemin dayattığı tabulara karşı bir darbe niteliğinde başlamıştır. Romantizm ortaya çıkışıyla, duygu düşünce ve ifadede bir yenilik yapıldığı kabul edilmiştir.

Arap romantizmi, Arap dünyasını saran ve bu harekete hazırlık mahiyetinde olan düşünsel, sosyal ve siyasal şartlardan etkilenerek 20. yy'ın üçte birinden sonra Arap dünyasında zuhur etti. Arap dünyasına vardığında batı edebiyatındaki parlak devri sona ermişti. Bu yöntem, Arap edebiyatına uzun zaman egemen olmuş, batı edebiyatından ve bu edebiyattan yapılan çevirilerden elde edilen romantizm ilkelerini benimseyen Arap nesli romantizmin hallerinden etkilenmişlerdir.

Ebu'l-Kasım eş-Şâbî, bu yöntemden derinden etkilenmiş ve onun öncülerinden olmuştur. Kısa süren ömrüne rağmen Tunus'ta o zamanlar etkin bir şekilde bu yöntemi temsil edebilmiş ve eserlerinde de yansıtabilmiştir. 'Fikret'ül-Fennan' kasidesi, insanlığın saadet kaynağı olması hasebiyle güzellik, sanat ve yenilikle dolu levhaları; tabiat hayal ve duygu gibi romantizmin belirtkelerini resmetmiştir. Şair bu kasidesinde akıl ve düşünce karşısında duygu problemini ele almış; duygulara tabi olmaya davet, aklın duygu ve hayal karşısındaki çaresizliği ve duygunun insan hayatındaki etkisi gibi çeşitli başlıklara önem vermiştir.

Araştırmacı bu makalede romantizm kavramını, onun özelliklerini ve klasisizme karşı romantizm akımının ortaya çıkış sebeplerini; Arap romantizmini, Ebu'l-

[*] Atatürk Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı Arap Dili ve Belagatı Bilim Dalı Arş. Gör.; Yusufakyuz25@hotmail.com

Kasım eş-Şâbî'nin hayatını ve 'Fikretu'l-Fennan' adlı Kasidesinin Romantizm bakış açısıyla tenkidini ele almıştır.

Anahtar Kelimeler: Ebu'l-Kasım eş-Şâbî, Fikretu'l-Fennan, Arap Edebiyatı, Arap Romantizmi.

ملامح الرومانسية في القصيدة" فكرة الفنان" لأبي القاسم الشابي

ملخّصُ البحثِ ◄ النقد الأدبي الذي بدأ في الغرب وأحاط بالعالم ولم يترك بلدا حتى دخله وأثر فيه يعد من أبرز مظاهر الأدب في العصر الراهن. والأدبُ العربي الحديث بدوره نال حظه من هذه الحركة الأدبية. والنقد الأدبي الحديث قد انقسم إلى مناهج مختلفة ومدارس متعددة حسب الظروف المحيطة بالبيئة التي نشأ فيه. ولكل منهج أصوله وقوانينه تميزه عن غيره. وكل منهج قد ظهر معارضًا المنهج السائد قبله وثورة عليه. فإن منهج النقد الرومانسي من هذه المناهج قد بدأ في فرنسا ثورة ضد القيود التي فرضتها الكلاسيكية في القرن الثامن عشر؛ واعتبر في بداية ظهوره تجديدا في طريق الإحساس والتفكير والتعبير.

أما الرومانسي العربي قد ظهر في العالم العربي بعد الثلث القرن العشرين متأثرا بالظروف السياسية والاجتماعية والفكرية المحدقة به التي كانت مهيئة لهذه الحركة. وعندما وصل إلى العالم العربي كان قد انقضى عهد ازدهاره في الأدب الغربي. فظل هذا المنهج مسيطرا على الأدب العربي مدة طويلة وتأثر الجيل العربي بالظروف الرومانسية ممتثلا مبادئها التي تستنبط من الآداب الغربية و المترجمات عن هذه الآداب.

أبو القاسم الشابي كان من رواد هذا المنهج وقد تأثر به تأثرا عميقا. وعلى الرغم من قصر عمره إلا أنه استطاع أن يمثل هذا المنهج بشكل متميز في تونس آنذاك وأن يعكسه في مؤلفاته.

وقصيدته "فكرة الفنان" قد رسمت لوحات مفعمة بالجمال والفن والإبداع بوصفها ملاذا للبشرية ومظاهرَ الرومانسية كالشعور والخيال والطبيعة. وقد تناول الشاعر فيها قضية الشعور والعاطفة تجاه العقل والتفكير. واهتم بعناوين متعددة منها: الدعوة إلى اتباع الشعور، عجز العقل تجاه الشعور والخيال، أثر الشعور في حياة الإنسان.

يتناول الباحث في هذه المقالة الكشف عن مفهوم الرومانسية وخصائصه، وأسباب ظهور النزعة الرومانسية ضد الكلاسيكية والتطرق إلى الرومانسي العربي وإلقاء نظرة على سيرة أبي القاسم الشابي ونقد القصيدة لأبي القاسم الشابي المعنونة ب "فكرة الفنان" من منظور الرومانسي.

الكلمات المفتاحية: ا أبي القاسم الشابي، فكرة الفنان، الأدب الغربي، الرومانسي العربي.

لمحة عامة عن الرومانسية

الرومانسية كلمة مشتقة من كلمة "رومانيوس" التي كانت تطلق على اللغات والآداب التي كانت فرعا من اللغة اللاتنية القديمة والتي كانت تعد في القرون الوسطى كلهجات عامية للغة روما القديمة. وبعد عصر النهضة صارت تعد لغات وآدابا فصيحة، حيث بدأت تستعمل كلغات ثقافة، وأدب، وعلم عوضا عن اللغة اللاتينية. وهذه اللغات هي الفرنسية والإيطالية والإسبانية، والرومانسية من لهجات سويسرا. أما سبب اختيار الرومانسيين هذه الكلمة عنوانا لمذهبهم فهو المعارضة بين تاريخهم وأدبهم وثقافتهم القومية أي الرومانسية وبين التاريخ والأدب والثقافة الإغريقية واللاتينية القديمة المسيطرة على الكلاسيكية والمقيِّدة أدبَها بما استنبط منها من أصول وقواعد[1].

الرومانتية والإبداعية من مرادفات الرومانسية. رواد هذا المنهج لم يتفقوا على تعريف محدد لهذا المنهج. ولكن بعد إمعان النظر في مضمونها يتبين أنه رد فعل موجه ضد المذهب العقلي السائد في أوروبا في القرن الثامن عشر، وضد الأرستقراطية التي تولد عنها ذلك المذهب.

[1] انظر. محمد مندور، الأدب ومذاهبه، نهضة مصر، ١٩٩٨م:٥٩

الرومانسية اكتست لها في كل بلد حلت به طابعا خاصا شكلته الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية[1].

هناك نقطة مهمة أيضا ينبغي تناولها في الحديث عن الرومانسية وهي التفريق بين الرومانسية كنزعة وبين الرومانسية كمذهب. أما الأول فهو قديم في تاريخ الآداب والفنون بكونها جزءا أصيلا من النفس البشرية وهو يتجلى منذ القدم في بعض الأغاني، والأشعار، والقصص، والحكايات؛ وهو نزعة تغلب على كثير من أفراد البشر في مرحلة من مراحل حياتهم؛ فنجدهم ينطوون على أنفسهم ويهربون من الحياة الاجتماعية التي ينقصها السكون والاطمئنان، ويلجأون إلى عالم صنعه خيالهم[2].

والروح العربية في العصور السابقة كانت مفعمة بالنزعة الرومانسية ولكن تَقيُّدَهم بالموروث الأدبي والذوق العام والنظرية النقدية يحول بينهم وبين التعبير عما يشعرون في أغوار صدورهم من الآلام والآمال والكره والحب[3].

وأما الرومانسية كمذهب أدبي يتصف بسمات خاصة، ويتأسس على أسس فلسفية ونقدية بارزة، ويظهر فيه التطور الفكري بوضوح تام فظهرت في نهاية القرن الثامن عشر وهجمت على المذهب

[1] انظر: قنيبي، حامد صادق، الأدب والنقد الحديث – اتجاهات ونصوص -، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع 2015، عمان، الأردن ص. 84،85
[2] انظر. النويهي، محمد، قضية الشعر الجديد، دار صادر، ٢٠٠٠، بيروت لبنان، ص. ٢١٠
[3] انظر. المرجع السابق، ص. ٢٥٢

الكلاسيكي داعيا إلى تحرير العاطفة من سيطرة العقل، هذه الدعوة قد أدت إلى بروز أدب ذاتي متخلص من الأنظمة والقواعد والقوانين التي أنتجت تدهور أوضاع المجتمع ماديا وأدبيا[1].

نشأتها

إن النقد الأدبي قد خاض معركة عنيفة من التطور في أواخر القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر للتخلص من القيود الكلاسيكية وإرساء مبادئ جديدة لدعم مذهب جديد يراجع القيم القديمة للشعر ولإحلال قيم جديدة في محلها. وبدأت منذ ذلك الحين الحركة الاكتشافية لأسرار الإبداع الفني والأدبي. والرومانسية التي انجلت في القرن الثامن عشر كانت بمثابة الثورة العاتية على الكلاسيكية. وكانت تمتاز بميزات عديدة منها التحرر، والفردية، وتوقد العاطفة، والعودة إلى الطبيعة، ومحاولة سبر أغوار النفس الإنسانية، واكتشاف آفاق جديدة لأسرار الابتكار، والإبداع في الأعمال الفنية[2]. فالرومانسية منهج أوروبي حل محل الكلاسيكية في تلك القرون بعد عناء شديد. بل يمكن القول إن الرومانسية ليست مذهبا أدبيا، بقدر ما هي تعبير عن حالة نفسية أنتجتها ثورة الإنسان على القيود كلها[3].

---

[1] أحمدي، عبد الحميد، مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي، فصلية إضاءات نقدية ، العدد الرابع -شتاء - ٢٠١١، ص. 10

[2] انظر. العشماوي، محمد زكي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ط1، دار الشروق، بيروت لبنان، 1994، ص: 250-251

[3] أنظر. الحمداني، سالم، مظاهر الرومانسية في شعر محمود درويش، آداب الرافدين، مج: 2، ص: 133-144، 1971، العراق، ص: 133.

إن من أهم أسباب انتشار الرومانسية في العالم الأوروبي هي الحروب المدمرة التي أحدقت بأوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن الذي يليه. وقد تسببت هذه الحروب الطاحنة في انكسار الخيال والإحساس بالخيبة والإحباط والانزواء في العزلة والشكوى من الإجحاف عند الجيل الذي كان مشبعا بالروح الوطنية والمغامرة ومتطلعا إلى انتصارات عظيمة ومُقْدِما إلى استقبال زاهر للبشرية عامة[1].

الرومانسية تقف هادمة العصر الإقطاعي من ناحية الاجتماعية و تقف متحدية تجريبية القرن الثامن عشر أو ماديته وأدبيا تقف في مواجهة الكلاسيكية من ناحية الفكرية. وبالنسبة لجوته (Goethe)؛ إن فكرة التفريق بين الشعر الكلاسيكي والشعر الرومانسي التي انتشرت في المعمورة كلها وسببت كثيرا من الخصومة والانقسام قد صدرت عن شلَّر (Schiller). وأن الأخوين شليجل (Schlegel) كانا سببين رئيسين في نقل هذه الفكرة وبثها في سائر بقاع الأرض؛ فصار كل امريء يتكلم عن الكلاسيكية والرومانسية التي لم تكن معروفة من قبل[2].

ويمكننا أن نلخص أبرز سمات الشعر الرومانسي في ما يلي:

١. الاعتناء الفائق بالتجربة الشخصية

[1] انظر. الأصغر، عبد الرزاق، المذاهب الأدبية لدى الغرب " الرومانسية" مجلة دراسات أدبية العدد ٣٨٠، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص. 11

[2] انظر. عبد الرحمن، نصرت، في النقد الحديث – دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية -، ط1، مكتبة الأقصى، 1979، عمان، الأردن.123،122

٢. الثقة بالعاطفة والخيال

٣. التفكر في الكون والتعمق في أسرار الوجود والتأمل في ما يتعلق بالنفس الإنسانية من التأملات الفكرية والنظرات الفلسفية.

٤. اللجوء إلى الطبيعة العذراء لترتاح إليها تجاه المشاكل والمفاسد الموجودة في المجتمع.

٥. صدق التجربة وحب الجمال والمثل العليا.

٦. العناية بالوحدة العضوية للقصيدة مقابل وحدة البيت المألوفة في عمود الشعر العربي مما منح القصيدة كيانا مترابطا.

٧. الحنين إلى الماضي والمجهول.

٨. الشعور بالغربة والاغتراب المكاني والزماني من خلال الخيال.

٩. اهتمام بلغة العصر واختيار الألفاظ الحية والعبارات الموحية وترك الألفاظ المكررة المعادة.

١٠. الاحتراز بوضع عنوان للقصيدة ناهيك عن وضع عنوان للديوان كله.

١١. ابتكار الموضوعات الجديدة التي لم تكن معهودة من قبل.

١٢. استعمال أسلوبَيْ الرواية والقصة في القصيدة.

١٣. التحرر من الصور الكلاسيكية وغير ذلك من ألوان التجديد في المضمون والشكل[1].

[1] انظر. ملازاده، ريحانة، الرومانسية في شعر سيد قطب، التراث الأدبي السنة الثانية العدد السابع، ص. ١١٩-١٣٤، ص. ١٢١،١٢٢

خصائصها

التيار الرومانسي ما كان ثورة على الكلاسيكية فقط بل كان ثورة على المحاكاة الكلاسيكية وعلى أصولها وقواعدها. وقد اتخذت الرومانسية لها أصولا وقواعد جعلتها تختلف عن الكلاسيكية وتتميز بها[1]. منها:

العاطفة والقلب

إن الرومانسية منهج يعتمد على القلب والعاطفة، ويرى أن الاهتداء بالقلب، والعاطفة لا بالعقل والتفكير؛ ويعد الجمال مرآة للحقيقة. وهي بوصفها ضد الكلاسيكية التي تتخذ العقل قائدا في سلوكها الأدبي. العاطفة هي التي تجعل من الفرد شاعرا حقيقيا فالشاعر لا يستطيع أن يعبر عن الحقيقة المكنونة في داخله إلا من خلال عواطفها العميقة.

الخيال

الخيال عند الرومانسيين أمر لا بد منه ولا يعتقدون أن الشعر يمكن أن يكون خاليا منه. فالخيال يتميز به الرومانسيون ويقدرون بفضله على أن يخلقوا عوالم من صنغ الخيال[2]. الخيال عند الرومانسيين لا يعني الخيال الجامح المفكك الذي هو عبارة عن

[1] انظر. هلال، محمد غنيمي، الرومانتيكية دار العودة، بيروت لبنان
[2] انظر. باورا، السيرموريس، الخيال الرومانسي، الموقف الأدبي، مج: ١، ع: ١٢، ١٩٧٢، ص: ١١-٢٢، سوريا، ترجمة: الصيرفي، إبراهيم،ص. 12

التجول بين الأفكار غير المتصلة وإنما هو جمع الأفكار وإفرازها وطبخها وتحويلها إلى شيء مستقل له قيمة وجودة وعمق ناهيك عن معرفة؛ ثم ضمها إلى عمل فني. لذا يجب أن يكون صاحب الخيال متحل بالفكر المتمتع بملكة الإبداع[1].

الشيء الوحيد الذي يحتكم إليه هو الخيال الذي قد أحلوه محل العقل السائد في الأدب الكلاسيكي. والخيال وسيلة أساسية لوعي الحقائق والرؤية المقدسة والقوة الفريدة التي تجعل الفرد شاعرا. ولأن منهج الرومانسي قد أطلق العنان للعاطفة ووثق بها ثقة تامة ورأى أن الجمال في الفن لا يتحقق إلا عن طريق التجربة الشخصية المستجيبة لما تدعو إليه العاطفة فعليه أن يعتني بالخيال[2]. إذ لا يمكن لصورة خيالية أن تخلو من العاطفة التي يهبها تمسُّكَها ووحدتَها، وقيمة الخيال يتوقف على أنه يمثل العاطفة[3]. وكبح جماح الخيال عندهم يعني إنكار أمرٍ حيوي ضروري لكيانهم، بل يرون أنهم يستطيعون بممارسة الخيال أن ينشدوا ما هو خير مما أنشده الشعراء. وقد علموا أن الشعر لا يمكن أن يبلغ ذروة قوته إلا بانطلاقه دافع الإبداع دونما عائق[4].

---

[1] انظر: ب. كروتشة، المجمل في فلسفة الفن، ترجمة: سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، 2009، المغرب، ص. 47

[2] انظر. ب. كروتشة، ص: 251

[3] انظر. العشماوي، ص. 291

[4] انظر. باورا، ص. 13

وبعد اعتناء الرومانطيقيين بالخيال صارت تستعمل كلمة " الخيال الخلاق أو الخيال المنتج "[1]. إذ الخيال يقوم بجمع عدة صور وأحاسيس غير المرتبطة -على الرغم من إمكانية وجود لكل صورة أو حس منها مثالا في الواقع- ويصهرها ويخلق شيئا جديدا ذا قيمة ومعرفة ليس له ما يماثلها في الواقع. والأعمال الأدبية نثرا وشعرا بمعناه العام تعبير عن الخيال

الطبيعة

الطبيعة والهروب إلى أحضانها من أبرز مزايا الرومانسية إذ الرومانسيون يعدون الطبيعة وسيلة يعبرون بها عن هواجسهم وأحلامهم ويجسدون في مظاهرها عواطفَهم المشبوبة وأحاسيسَهم الدافقة ومواجدهم في الحب والعشق[2]؛ إذ إن الشاعر يقف تجاه المنظر الطبيعي يتفكر فيه ويستوعبه لا كما هو في الواقع، ولكن كما تريد مشاعرُه، فتصبح الطبيعة مرآة لخواطره ومشاعره[3]؛ فالطبيعة المصنوعة ليست مصدر إلهامه وإنما مصدر إلهامه الطبيعة العذراء الخريدة التي لم تفسدها يد البشر[4]. فإن لجوء الإنسان إلى الطبيعة وإلقاء نفسه بين أحضانها خيرُ ملجأ يضع فيه الإنسان همومه ويبث

[1] انظر. العشماوي، ص. 252
[2] انظر: الحمداني، سالم أحمد، مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، 1989، ص. 91
[3] انظر. العقاد، عباس محمود، مطالعات في الكتب والحياة، ط2، دار الكتاب العربي، 1386هـ، بيروت، لبنان، ص. 205
[4] عبد الرحمن، نصرت، ص. 132

إليه أحزانه، وينسى بفضله ما يرغب في نسيانه وهي التي تستطيع أن تخلصه من ضجيج المدينة وصخبها وقلقها، في حين أن تمنحه راحة النفس والسرور[1].

الوحدة العضوية

الوحدة العضوية هي من أهم سمات الرومانسية وقد دعى الرومانسيون إليها بوصفها النقطة المركزية التي توحد العلائق الحية القائمة بين الأجزاء المبعثرة في الطبيعة ومن ثم تكون مصدرا للحقيقة المرجوة[2]. فالوحدة العضوية أن تهيمن الصورة الواحدة أو الإحساس الواحد على عدة صور أو أحاسيس في الأعمال الأدبية وتكون تلك الصور أو الأحاسيس تدعم صورة واحدة أو إحساسا واحدا[3].

الاتجاه الرومانسي في العالم العربي

لا ريب أن اطلاع الشعراء العرب على الحركة الرومانسية التي ظهرت في أوروبا وتأثرت بالثورة الفرنسية وبروسو وبالأدب الإنجيليزي والألماني كان من العناصر المهمة في ظهور الرومانسي العرب في الربع الأول من القرن العشرين[4]. إضافة إلى أن العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية جدت على العالم العربي ومن ثم دعت بعض

---

[1] انظر: الحمداني، ص. 135
[2] انظر: عبد الرحمن، نصرت، ص. 137
[3] انظر. العشماوي، ص. 301
[4] انظر. خليل حجا ميشال، ١٩٩٩، الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش ط١، دار الثقافة، بيروت لبنان، ص. 320.

الناس إلى الثورة على كل ما هو راسخ في مجتمعهم والشعر كان واحدا منهم. والعوامل التي أدت إلى إقبال العرب على الرومانسية هي إكثار شعراء مدرسة الإحياء من الالتفاتات إلى القديم، ومحاكاته، ومعارضته؛ وعنايتهم بشعر المناسبات، وانشغالهم عن تجاربهم الشخصية، واحترازهم بالصياغة، والشكل، والقالب على حسب المعنى، والفكر، والوجدان ووقوفهم على حد اعتبار البيت الشعري وحدة مستقلة وعدم اهتمامهم بالوحدة العضوية في القصيدة[1].

الملامح الرومانسية في قصيدة " فكرة الفنان" أو " قال قلبي للإله" لأبي القاسم الشابي

من الشعراء الذين مثلوا نقلة نوعية في الرومانسية الشعرية أبو القاسم الشابي الذي استطاع -رغم قصر عمره- أن يظهر مثالا رائعا لدعم فكرة المنهج الرومانسي ودعا في قصائده إلى ما اهتمت به الرومانسية.

نظرة عابرة إلى حياة أبي القاسم الشابي

ولد أبو القاسم الشابي في الرابع والعشرين من شباط عام ١٩٠٩م. في بلدة "توزر" التونسية. ولم ينشأ في مسقط رأسه بسبب وظيفة أبيه التي تجعل الأسرة تتنقل من مكان إلى آخر خلال تسعة عشر عاما. لم تمض سنة بعد مولد الشابي حتى بدأ الترحال. ومن ثم

[1] انظر. خورشا، صادق، ١٣٨١ ش. مجاني الشعر العربي الحديث ومدارسه، ط١، طهران سمت، ١٠٥

لقد تعرض الشابي لجميع أنواع المناخ في البلاد التونسية كما تعرض للاحتكاك بمختلف العادات واللهجات بين أهل الشمال وأهل الجنوب . وعدم استقراره في مكان واحد قد أكسبه خيالا متوثبا وغذَّى ذاكرته بصور البيئة التونسة المتنافرة، وعمق تجربته الشعرية فحصل على تجربة إنسانية شاملة[1].

كان والده أول معلميه حتى الخامسة من عمره، بعد الخامسة أرسله أبوه إلى الكتاب وحين بلغ الثانية عشرة من عمره أرسله إلى جامع الزيتونة حيث تلقى فيها من علوم الأدب واللغة والفقه والشريعة وكانت الزيتونة تفتقر إلى دراسة الآداب، والعلوم العصرية إذ إن الشيوخ فيها لم يرغبوا في ذلك. وهذا لم يرقَّ للشابي فلم يشغله عن تكوين ثقافة واسعة عربية بحتة جمعت بين التراث العربي القديم في أزهى حلله وبين روائع الأدب الحديث في البلاد العربية وفي المهجر، فضلا عن ترجمات الآداب الأوروبية. وكانت رغبة الشاعر تتركز على الأدب العربي الذي نشأ في أميركا على أيدي المهاجرين العرب وتأثر به تأثرا عميقا.١٠

ومن الأسباب التي جعلته رومانسيا هو كان حبه لفتاة قد لقيت حتفها ولم يستطع أن يتزوجها. وترك هذا الفراق في قلبه أثرا عميقا بالإضافة إلى الصدمة التي تلقاها في حبه الأول فقد تعرض إلى كارثة كبرى تمثلت بوفاة أبيه. وهذه الكوارث هزت أركان الشاعر وبدلت نظام

[1] انظر. طراد، مجيد، ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٤، بيروت، لبنان، ص. 9.

حياته وزادت مرض قلبه سوءا[1]. وفي مرحلة من مراحل نوبته الشديدة طلب ممن حوله قلما وورقا، وكتب في الورق هذه القصيدة

"يا إله الوجود، هذي جراح في فؤادي تشكو إليك الدواهي."

ولم يحسن الشابي مداراة مرضه بل استمر يرهق نفسه بما كان الأطباء قد نهوه عنه. حتى اشتدت عليه الآلام فاضطر إلى ملازمة الفراش وبعد نهاية شتاء تلك السنة حرم عليه الأطباء التأليفَ والقراءةَ وفي سنة ١٩٣٤ دُعي الشابي فأجاب. رحمه الله[2].

ديوانُه

في صيف ١٩٣٤ طفق الشاعر يجمع ديوانه الذي أسماه "أغني الحياة" لكن المنية سبقته وحالت دون ما نوى فعله[3].

شعرُه

يقول الشابي: " الشعر ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار وفي نسمة الورد الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حولها الفراش وفي النغمة المرددة يرسلها الفضاء الفسيح....." هذا التحديد يُشعر أنه ينطبق على الشعر الرومانسي إذ يعتمد الأديب على نفسيته، وعلى انفعالاته.

والشابي شاعر وجداني يدخل شعره في ثنايا المذهب الرومانطيقي. حيث إن الشاعر كان يحاول تأكيد ذاته الشخصية في

[1] انظر. المرجع نفسه، ص. 12.
[2] انظر. المرجع نفسه، ص. 14.
[3] انظر. المرجع نفسه، ص. 15.

وقت كانت البيئة السياسية والاجتماعية تسعى إلى سلب حرية الفرد وخصوصيته وكان الاستعمار يحاول أن يكف تلك الذات عن المطالبة بحقوق بلدانها ورقي شعوبها.

كان الشابي يعتقد أن الشاعر ليس مؤرخا لعصره وعاداته وأخلاقه فحسب، وإنما الشاعرية الحقة تفيد عنده أن يرتقي الشاعر بروحه إلى آفاق واسعة ذات الرحب والسمى من سماء البيئة المحدودة، وإلى العالم المصنوع في الخيال والأحلام الذي يعبر عن عواطفه وأحاسيسه المشبوبة وبهذا يسلك منهج الرومانسيين الذين انكمشوا في ذواتهم واستنبطوا منها أسرار بواطنهم[1].

أما شعر الشابي يمتاز في خصائصه الشعرية بما أذاعته المدرسة الرمزية آنذاك[2].

أغراض شعره

تدور أغراض شعره في الوجدانيات وما يتبعها من تأمل في الذات والوجود. وكان عازفا عن الشعر التقليدي منذ البدء. وموقفه كان يقترب من موقف أدباء المهجر وطائفة من أدباء المشرق الذين سعوا إلى سبيل الحياة الغربية والابتعاد عن الحياة الشرقية. وكان يردد أن شعره هو تعبير عن شعوره.

" شعري نفاثة صدري إن جاش فيه شعوري"

[1] انظر: أحمدي، ص. 13

[2] انظر. المرجع نفسه، ص. 16.

اقتصرت أغراضه في ديوانه على التدبر في الوجود ووصف والغابة والزنبقة والطيور والخريف والمساء والكآبة والطفولة والله والموت والأمومة والغزل والحب.

أما الناحية الوطنية في شعره لم تنل حظها كما نالت الوجدانية إذ لم يهتم بها إلا بطريقة ثانوية.

أما معانيه فإنها تتدفق حتى تفيض أحيانا عن اللفظ ذلك إن الشاعر قد اكتفى بعدد معين من الموضوعات الوجدانية ومن ثم كررها مرارا حتى أصبح الترديد مملا إلى درجة تجعل القارئ يخلط بين قصائد الديوان[1].

الطبيعة في شعره:

الطبيعة عند الشابي لها حيز بارز في ديوانه رغم أن وصف الطبيعة لم يكن مقصودا لذاته وإنما رغبة الشاعر في الربط بينه وبين أحواله الشخصية. ذلك بفضل تنقله في أماكن مختلفة بسبب وظيفة أبيه وأمراضه الذاتية وكونه متجها نحو الشعر الرومانطيقي وانصرافه عن فنون الشعر التقليدية صار الشابي يهتم بالطبيعة، وتجلى حبه للطبيعة في قصائده. فتظل فكرة الطبيعة مهيمنة عليه حتى في آخر سنوات عمره. وبدأ حب العيش في الغابات والجبال بعيدا عن الناس متفردا بنفسه وتاركا همومَ شعبه الذي حمل قضيته في مطلع شبابه[2].

[1] انظر. المرجع نفسه، ص. 17.
[2] انظر. المرجع نفسه، ص. 21.

أما من ناحية عبقريته فإنها تتجلى بوضوح في شعره الوجداني الذي يجري على السليقة. وإن عنصر التعبير لديه أهم من عنصر التفكير[1].

ملامح الرومانسية في قصيدة " فكرة الفنان"

وقصيدته "فكرة الفنان" قد رسمت لوحات مفعمة بالجمال والفن والإبداع بوصفها ملاذا للبشرية ومظاهرَ الرومانسية كالشعور والخيال والطبيعة. قد تناول الشاعر فيها عناوين متعددة منها: الدعوة إلى اتباع الشعور، عجز العقل تجاه الشعور والخيال، أثر الشعور في حياة الإنسان[2].

أولا نقدم القصيدة مع شرح الكلمات الغريبة.

فكرة الفنان

عِشْ بالشُّعورِ، وللشُّعورِ، فإنَّما ***دنياكَ كونُ عواطفٍ وشعورِ
شِيدَتْ على العطْفِ العميقِ، وإنّها ***لتجفُّ لو شِيدتْ على التفكيرِ

وَتَظَلُّ جَامِدَة الجمالِ، كئيبةً ***كالهيكلِ، المتهدِّم، المهجورِ
وَتَظَلُّ قاسيةَ الملامحِ، جهْمةً[3] ***كالموتِ.. مُقْفِرةً، بغير سرورِ
لا الحبُّ يرقُصُ فوقها متغنِّياً ***للنّاسِ، بين جَداولٍ وزهورِ

[1] انظر. المرجع نفسه، ص. 22.
[2] https://www.3lom4all.com/vb/showthread.php?t=13729
[3] عابسة الوجه، ظُلمة آخِر الليل

مُتَوَرِّدَ الوَجناتِ[1] سكرانَ الخطى ***يهتزُّ من مَرَح، وفرْط حبورِ[2]
متكلِّلاً[3] بالورْدِ، ينثرُ للورى ***أوراقَ وردِ "اللَّذةِ" المنضورِ[4]
كلاَّ! ولا الفنُّ الجميلُ بظاهرٍ ***في الكون تحتَ غمامةٍ من نورِ
مَتوشِّحاً[5] بالسِّحر، ينفْخ نايَهُ المشبوبَ[6] بين خمائلٍ[7] وغديرِ
أو يلمسُ العودَ المقدّسَ، واصفاً ***للموت، للأيام، للديجورِ[8]
ما في الحياة من المسرَّةِ، والأسى ***والسِّحْر، واللَّذاتِ، والتغريرِ[9]
أبَداً ولا الأملُ المُجَنَّحُ مُنْشِداً ***فيها بصوتِ الحالم[10]، المَحْبُورِ[11]
تلكَ الأناشيدَ التي تَهَبُ[12] الورى ***عزْمَ الشَّبابِ، وَغِبْطة[13] العُصْفورِ
واجعلْ شُعورَكَ، في الطَّبيعة قَائداً ***فهو الخبيرُ بتِيهها[14] المسْحورِ
صَحِبَ الحياةَ صغيرةً، ومشى بها ***بين الجماجم، والدَّمِ المهدورِ
وعَدَا بهَا فوقَ الشَّواهِق، باسماً[15] ***متغنِّياً، مِنْ أعْصُرِ وَدُهورِ
والعقلُ، رغْمَ مشيبهِ ووقَاره، ***ما زالَ في الأيّامِ جِدَّ صغيرِ

---

[1] الخد
[2] سرور
[3] تكلل بالشيء: لبسه
[4] في الشجر ما كان نضيرا حسنا جميلا؛ مشرق، ناعم، ذو بهجة
[5] توشح بالسيف: تقلده، اتشح به؛ توشح بالوشاح: لبسه
[6] المَشْبُوبُ: حَسَنُ الوجْهِ ، متوهّج اللَّون
[7] الأرض السهلة الطيّبة يُشْبه نَبْتُها خَمْلَ القطيفة
[8] الظلمة
[9] التغرير: التعرض للهلاك
[10] من أو ما يغلب عليه الخيال هو دائمًا في حالٍ حالمة
[11] ناعم
[12] أعطاه بلا بدل
[13] الغبطة: حُسن الحال ، مسرّة ، رضا تامّ دائمُ
[14] التيه: الأرض الواسعة يضيع فيها المرء
[15] ضاحك خفيفا من غير صوت

يمشي.، فتصرعه الرياحُ.، ***فَيَنْثَنِي مُتوجِّعاً، كالطّائر المكسورِ
ويظلُّ يَسْألُ نفسه، متفلسفاً ***متَنَطِّساً[1]، في خفَّةٍ وغُرورِ:
عمَّا تُحَجِّبُهُ الكواكبُ خلفَها ***مِنْ سِرِّ هذا العالَم المستورِ
وهو المهشَّمُ[2] بالعواصفِ.. يا لهُ ***من ساذجٍ متفلسفٍ، مغرور!

****

وافتحْ فؤادكَ للوجود، وخلِّه ***لليمِّ[3] للأمواج، للدّيجورِ
للثَّلج تنثُرُهُ الزوابعُ[4]، للأسى ***للهَوْلِ، للآلامِ، للمقدورِ[5]
واتركْه يقتحِمُ العواصفَ.، هائماً ***في أفقِها، المتلبّدِ[6]، المقرورِ[7]
ويخوضُ أحشاءَ[8] الوجود.، مُغامِراً ***في ليْلِها، المتَهَّيبِ[9]، المحذورِ[10]
حتَّى تعانقَه الحياة، ويرتوي ***من ثغْرِها المتأجِّجِ[11]، المسجورِ[12]

---

[1] متنطسا: جاعلا نفسه كالنطاسي أي الطبيب العالم
[2] المهشم: المصاب
[3] اليم: البحر
[4] الزَّوابِعُ: الأعاصيرُ ، أَيْ هَيَجانُ الرِّياحِ
[5] المقدور: طاقة واستطاعة ، ما يقدر عليه الإنسانُ
[6] تَلَبَّدَتِ السَّماءُ بِالغُيومِ : تَغَطَّتْ ، تَكاثَفَتْ
[7] المقرور: البارد
[8] ما دون الحجاب الحاجز ممّا يلي البطن ، كالكبد والمعدة والأمعاء وغيرها التهبت أحشاؤه من العطش
[9] المتهيب: خَائِفٌ، وَجِلٌ
[10] المحذور: ما يُتَّقَى ويُحْتَرَز منه
[11] مُتَأَجِّجٌ: مُلْتَهِبٌ ، حَارٌّ شَدِيدٌ
[12] المُتَّقِدُ

فتعيشَ في الدنيا بقلبٍ زاجرٍ ***يقظِ المشاعرِ، حالمٍ، مسحورِ
في نشوةٍ، صُوفيَّةٍ، قُدسيةٍ، ***هيَ خيرُ ما في العالمِ المنظورِ.

الدعوة إلى الشعور والعاطفة وترك العقل والتفكير

القصيدة من البداية إلى النهاية تدور حول رفع قيمة الشعور والعاطفة وإسقاط منزلة التفكير والعقل ومن ثم يرفع الشاعر قدر الشعور والعاطفة وينزل قيمة العقل بل لا يرى في العقل قيمة في هذا العالم الذي يعيش فيه، ويعبر عن الشعور والعاطفة بأنهما كل شيء في الحياة، وليس هناك شيء آخر أجدر منهما بأن يضحي الإنسان حياته وما يملكه من أجله، وعلى الإنسان ألا يعيش حياة إلا بهما ومن أجلهما، لأن العالم وما فيه لا يمكن أن يكتشفه الإنسان أو يتمتع به إلا من خلال العواطف والشعور. إذ يقول:

"عِشْ بالشُّعورِ، وللشُّعورِ، فإنَّما ***دنياكَ كونُ عواطفٍ وشعورِ"

ثم يقول في وسط القصيدة مؤيدا هذا.

" واجعلْ شُعورَكَ، في الطَّبيعة قَائداً ***فهو الخبيرُ بتِيهها المسْحورِ "

ولا يقف عند ذلك الحد ويزيد قائلا:
"شِيدَتْ على العطْفِ العميقِ، وإنّها ***لتجفُّ لو شِيدتْ على التفكيرِ".

في هذا البيت يرتكز على العواطف مفيدا بأن دنيا أي إنسان مشيدة على العواطف العميقة وكأنه شبَّه الدنيا بالبناء والعواطفَ بأركانه التي تستمد تلك الدنيا بقاءَها وحياتَها ونموَّها منها؛ إذ إن تلك الدنيا لتجف لو شيدت على التفكير. لأنه يعتبر التفكير جسدا جامدا لا يُمد الآخر بالحياة والبقاء والنمو. ولا يمكن أن تكون الدنيا بدون أركان كما لا يمكن أن يكون البناء بدونها. وإنه لا يفرق بين الجفاف والتفكير.

"وإنها لتجف لو شيدت على التفكير"

ويؤكد قوله - حينما وصف العقل بالجفاف – بالبيتين الآتيين.

"وَتَظَلُّ جَامِدَة الجمالِ، كئيبةٍ***كالهيكلِ، المتهدِّم، المهجورِ"،

"وَتَظَلُّ قاسية ِالملامحِ، جهْمةٍ***كالموتِ، مُقْفِرةٍ، بغير سرورِ"

ويمكننا رؤية الجفاف في الكلمات الواردة في هذين البيتين مثل: (جامدة الجمال، الهيكل، المتهدم، المهجور؛ قاسية الملامح، جهمة، الموت، مقفرة، بغير سرور.) كل هذه المفردات لا يُشعر الإنسان بسعادة وإنما ذكرت هنا لتدعم المعنى المقصود من قِبل الشاعر مفادُه أن التفكيرَ والعقل لا يغنيان من الحياة والبقاء والسرور من شيء. والكلمات شكلت في ما بينها الوحدة العضوية لتجسيد المعنى المدفون في أغوار صدر الشاعر.

والأبيات التالية لا تختلف عن سابقتها في ما ذهب إليه الشاعر من اعتقادٍ يفيد أن العاطفة والشعور صاحبي السلطة في الدنيا . ثم يأتي بالأبيات التي جمع عناصر الطبيعة لتدعم رأيه ويقول:

"لا الحبُّ يرقُصُ فوقها متغنّياً ***للنّاسِ، بين جَداولٍ وزهورِ"
مُتَوَرّدَ الوَجناتِ سكرانَ الخطى ***يهتزُّ من مَرَح، وفرْط حبورِ
متكلّلاً بالورْدِ، ينثرُ للورى ***أوراقَ وردِ "اللَّذةِ" المنضورِ

كان من شأن الحب الرقصُ، والتغني، والتلبس بالورود، والإحساس باللذة لكنها إذا ما وجد نفسه تحت سيادة التفكير والعقل تخلى عما كان من لوازمه. وفي هذه الأبيات قد أفرط الشاعر في ذم التفكير، والعقل؛ وثناء العاطفة والشعور كما هو حال الرومانسيين

كلاَّ! ولا الفنُّ الجميلُ بظاهرٍ ***في الكون تحتَ غمامةٍ من نورِ
مَتَوشّحاً بالسِّحر، ينفُخ نايَهُ المشبوبَ بين خمائلٍ وغديرِ
أو يلمسُ العودَ المقدّسَ، واصفاً ***للموت، للأيام، للديجورِ

التعاطف مع الطبيعة

من المعلوم أن الرومانسيين يشعرون بالوحدة وبعدم التفاهم من قِبل الناس حولهم لهذا لجؤوا إلى الطبيعة ظانين منهم أن يجدوا ما يشفي صدورهم ويسليهم ويعثروا على ما لم يجدوا عند الناس العقلاء إذ يفرون منهم إلى أحضان الطبيعة. وتجولوا في الطبيعة وبين أجزاءها ووحدوا عواطهم وشعورهم الداخلي بعناصرها وجعلوها شاهدة على شعورهم وعاطفتهم التي يتقلبون فيها. وأبو القاسم الشابي حينما

يدحض قيمة التفكير والعقل يستمد رأيه من عناصر الطبيعة ويأتي بالعبارات. منها: " بين جداول وزهور، متكللا بالورى، أوراقَ وردِ "اللَّذةِ" المنضورِ، تحتَ غمامةٍ من نورِ، بين خمائلٍ وغديرِ، فتصرعه الرياحُ، كالطّائر المكسورِ، تُحَجّبُهُ الكواكبُ خلفَها، المهشَّمُ بالعواصفِ".

لا الحبُّ يرقُصُ فوقها متغنّياً ***للنّاسِ، بين جَداولٍ وزهورِ
مُتَوَرّدَ الوَجناتِ سكرانَ الخطى ***يهتزُّ من مَرَح، وفرْط حبورِ
متكلّلاً بالورْدِ، ينثرُ للورى ***أوراقَ وردِ "اللَّذةِ" المنضورِ
كلاَّ! ولا الفنُّ الجميلُ بظاهرٍ ***في الكون تحتَ غمامةٍ من نورِ
مَتَوشّحاً بالسِّحر، ينفُخ نايَهُ المشبوبَ بين خمائلٍ وغديرِ
أو يلمسُ العودَ المقدّسَ، واصفاً ***للموت، للأيام، للديجور
ما في الحياة من المسرَّةِ، والأسى ***والسِّحْر، واللَّذاتِ، والتغريرِ
أبَداً ولا الأملُ المُجَنَّحُ مُنْشِداً ***فيها بصوتِ الحالم، المَحْبُورِ
تلكَ الأناشيدَ التي تَهَبُ الورى ***عزْمَ الشَّبابِ، وَغِبْطة العُصْفورِ

التشوق إلى العزلة والعيش في الطبيعة

ويتسنى للقارئ من خلال الأبيات الأخيرة أن يرى الشاعر بأنه يرغب في العزلة والابتعادِ عن الناس والتفردِ بالذات وإلقاء نفسه بين أحضان الطبيعة تارة يتركها تواجه البحر،والأمواج، والدّيجورِ وتارة تقتحم

العواصف. الشاعر اختار عناصر الطبيعة ذات اللون الأسود مثل الديجور، الليل، والمتلبد؛ والأحوالَ المضطربة مثل العواصف، الزوابع، والأمواج، والبحر؛ واستنجد بالأوصاف المخيفة مثل المتهيب، والمحذور، واستعمل البرودة والحرارة من أحوال العالم مشيرا إلى أن العالم فيه الأضداد التي تعطي اليقظة. وهذه الأوصاف والأحوال تشير إلى الشقاء، والصعوبة، والعسر. وكأن الشاعر أحس بأن السعادة، واليسر، اليقظة مع العسر؛ والصعوبة، والآلام، والاضطراب. لأن السكون، وعدم التبدل في الوضع يجعل الإنسان نائما، ومعتقدا بأنه ليس هناك شيء جديد وليست هناك حركة ومن ثم ليست هناك حياة.

وافتحْ فؤادكَ للوجود، وخلِّه ***لليمِّ، للأمواج، للدّيجورِ
للثَّلج تنثُرُهُ الزوابعُ، للأسى ***للهَوْلِ، للآلامِ، للمقدورِ
واتركْه يقتحِمُ العواصفَ.. هائماً ***في أفقِها، المتلبّدِ، المقرورِ
ويخوضُ أحشاء الوجود.. مُغامِراً ***في ليْلِها، المتَهَيِّبِ، المحذورِ

ثم يستمر التجول في الكون المضطرب والطبيعة ذات الهوجاء حتى وصل إلى قوله الأخير وهو:

حتَّى تعانقَه الحياة، ويرتوي ***من ثغْرِها المتأجِّجِ، المسجورِ
فتعيشَ في الدنيا بقلبٍ زاجرٍ ***يقظِ المشاعرِ، حالمٍ، مسحورِ
في نشوةٍ، صُوفيَّةٍ، قُدسيةٍ، ***هيَ خيرُ ما في العالمِ المنظورِ.

الخاتمة

لقد تبين أن مظاهر الرومانسية انعكست في القصيدة "فكرة الفنان" لأبي القاسم إذ إنه يدعو إلى الشعور والعاطفة وهما منطلقا الرومانسية. وهذا يظهر جليا في أبيات القصيدة. فالقصيدة تتركز على قيمة العاطفة والشعور وتعبر أن العقل والتفكير يمثلان الجفاف. وهما من أسس الكلاسيكية التي كان الشابي ثائرا عليه. فالقصيدة تتمتع بمهارة الخيال الخلاق للشابي. والشابي قد استطاع أن يجمع عناصر الطبيعة في القصيدة بشكل فائق حيث يشكل الوحدة العضوية.

المراجع والمصادر

أحمدي، عبد الحميد، مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي، فصلية إضاءات نقدية ، العدد الرابع -شتاء – ٢٠١١.

الأصغر، عبد الرزاق، المذاهب الأدبية لدى الغرب " الرومانسية" مجلة دراسات أدبية العدد ٣٨٠، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

ب. كروتشة، المجمل في فلسفة الفن، ترجمة: سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، 2009، المغرب.

باورا، السيرموريس، الخيال الرومانسي، الموقف الأدبي، مج: ١، ع: ١٢، ١٩٧٢، ص: ١١-٢٢، سوريا، ترجمة: الصيرفي، إبراهيم.

الحمداني، سالم، مظاهر الرومانسية في شعر محمود درويش، آداب الرافدين، مج: 2، ص: 133-144، 1971، العراق.

الحمداني، سالم أحمد، مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، 1989.

العشماوي، محمد زكي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ط1، دار الشروق، بيروت لبنان، 1994.

العقاد، عباس محمود، مطالعات في الكتب والحياة، ط2، دار الكتاب العربي، 1386هـ، بيروت، لبنان.ز.

النويهي، محمد، قضية الشعر الجديد، دار صادر، ٢٠٠٠، بيروت لبنان.

خليل حجا ميشال، ١٩٩٩، الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش ط١، دار الثقافة، بيروت لبنان.

خورشا، صادق، ١٣٨١ ش. مجاني الشعر العربي الحديث ومدارسه، ط١، طهران.

طراد، مجيد، ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٤، بيروت، لبنان.

عبد الرحمن، نصرت، في النقد الحديث – دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية -، ط1، مكتبة الأقصى، 1979، عمان، الأردن.

قنيبي، حامد صادق، الأدب والنقد الحديث – اتجاهات ونصوص -، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع 2015، عمان، الأردن.

محمد مندور، الأدب ومذاهبه، نهضة مصر، ١٩٩٨م القاهرة، مصر.

ملازاده، ريحانة، الرومانسية في شعر سيد قطب، التراث الأدبي السنة الثانية العدد السابع، ص. ١١٩-١٣٤،

هلال، محمد غنيمي، الرومانتيكية دار العودة، بيروت لبنان.

https://www.3lom4all.com/vb/showthread.php?t=13729